20050720-0003-2

ضيف الحلقة: سمير جعجع

ما هي الأفكار التي قد تعبر رأس ذلك الذي لا ينتمي إلى «القوات اللبنانية» وقد تلقى خبر قرار إطلاق سراح الحكيم، سمير جعجع؟

في البدء، لا مفر من أرشفة حوارات البيضة والدجاجة. كيف سيخرجون جعجع من سجنه وهو الذي قتل وسرق؟ ماذا؟! لماذا كل الذين سرقوا وقتلوا يعتلون أعلى المناصب وهو، وحده، أسير سجنه، يدفع ثمن أخطائهم كلهم؟! البيضة تقول: أدخلوهم كلهم السجن. الدجاجة تجيب: أخرجوه هو من سجنه.

ثم يحين موعد تانغو التكرار: مشهد التمثيل الشعبي وقد اكتمل على صورة تذكارية كان يمكن التقاطها في أي يوم من أيام الحرب اللبنانية العادية لأمراء تلك الحرب. الصورة اليوم باتت بملابس مدنية، وفي الأمس كانت الأجساد نفسها تستعرض الزي العسكري. وبمناسبة المشهد العسكري يحضر الحوار الناري، انقسام تام لا يمكن لأي نقاش أن يستضيف أفكاره، أن يحاورها في ما بينها: بطل هنا يستقبل بالورد وبالشمبانيا، مجرم هناك يستعاذ بالشيطان من سراحه وقد أطلق. ثم، بعض هنا يرى العدالة في أسمى تجلياتها حتى ولو لم يكن «قواتيا». وبعض هناك يرى إهانة معنوية إضافية لكن لا يجوز منع وقوعها. يمكن لقلة ترقد في منتصف الطريق بين الطرفين أن تلتقي على فكرة واحدة بلا تطرف: إما كلهم في السجن وإما كلهم خارجه. لكن الواقع ينتصر لـ«كلهم خارجه». بالتالي، تصبح عبارة «إما كلهم في السجن» مجرد تمرين ذهني، يشبه ذلك الذي يمارسه المرء عند سماعه خبر تفجيرات لندن: أرفض موت المدنيين، لكنني لا أتوقع عيش مدنيي لندن بسلام بينما سياستهم تستبيح مدنيي الكوكب.

تانغو أفكار لا يحتاج اثنين كي يكتمل. ويستمر الببغاء في تكرار: بطل هنا هو سفاح هناك.

لا تهم الأفكار ولا يهم الرأي. لكن سمير جعجع سيخرج من سجنه، وبعد خروجه قد يصبح من المثير رصد أخباره. الفرجة. فعندما عاد الجنرال من باريس، وهو الذي أصر طويلاً على رفض الوجود السوري في لبنان، ولم يصر على أي شيء آخر أصلاً، استقبله أبطال المشهد بتهم العمالة لسوريا. ما الذي تخبئه لنا أحداث الحلقة التالية؟ قد يتم التعامل مع الحكيم على أنه مريض نفسياً. أو ربما قد يتهم بالعمل لصالح «جهات إرهابية». قد يتهم بزنزانة قرّبته من فكر «القاعدة». بعد خروجه، قد يصبح من المثير متابعة مواقفه والمواقف حيالها.

الممل هو التزامه موقف زوجته. من الممل أن يأتينا بطل جديد يضاف إلى جوقة أبطال المسلسل ليكون تابعاً للرأي الوحيد الذي يسيطر على المسلسل. كأن أسامة أنور عكاشة، يوم كتب «ليالي الحلمية»، أضاف الأولاد والأحفاد إلى الأجزاء ليكمل عبر الابن دور الأب كون الابن «وجهاً جديدا»، نجماً إضافياً. هذا سيكون أمراً مملاً.

المثير، مثلاً، هو أن يعيد الحكيم فتح باب الكونفيدرالية... أن يطرح، في مجلس النواب وعبر زوجته، مشروع تقسيم البلاد. كم سنتسلى حينها! فهو إن طالب بحصة أكبر للمسيحيين، سيبقى مملاً كوننا تابعنا هذا الدور برفقة البطريرك ثم البطاركة ومن بعدهم القرنة فـ«البيك»، وفي الختام حان موعد الجنرالين. لا. سيكون من الممل مجرد المطالبة بتمثيل أكبر للمسيحيين.

آه... سيكون مثيراً لو شرع الحكيم يطالب بحقوق أكثر للعمال، بنظام إقتصادي أكثر عدالة، بعلمانية... ماذا لو طالب الحكيم بنظام اشتراكي وبإقفال أبواب أميركا وإسرائيل، وبالتحالف السياسي والاقتصادي مع كوريا وكوبا... وربما مع إيران أيضاً. حينها، سيربح الحكيم الأوسكار.

لا، هذا غير معقول. مغر، لكنه غير معقول.

طيب... بقية الشعب، هؤلاء الذين ليسوا «قوات لبنانية»، ماذا يعنيهم من خروج الحكيم من السجن، إن وضعنا ملف الحرب الهامشي على جنب؟ نعم، هامشي هو ملف الحرب إذ أن أحداً لم يعد يريد أن يسمع «النق» حولها. تماماً كما لا يريد أحد أن يسمع كلمة مشينة بحق الدولة العبرية وذلك نتيجة سأم المواطنين من موال الأنظمة العربية وهي تمارس الطغيان باسم محاربة الكيان. سئم المواطنون من سماع هذا الكلام. يريدون جديداً. وشتيمة سوريا ما عادت جديدة. هناك فصول إضافية منها تملأ فراغ الكلام، كأزمة الشاحنات وأزمة الصيادين وما سيليها من أزمات. لكنها أزمات لا تكفي العاصمة كي تتظاهر في وجه زعماء يعجزون عن تشكيل حكومة تبت الموضوع وغيره من المواضيع الاجتماعية التي، بدورها أيضاً، لا تكفي العاصمة للنزول إلى الشارع.

العاصمة تحتاج انفجاراً كبيراً كي تنزل إلى الشارع. العاصمة تتمتع بـ«بريستيج».

لكن... ما المثير في خروج سمير جعجع من السجن؟!

لا شيء. هي إهانة أخرى تضاف إلى ملف كل من تضرر من الحرب ولم يخرج مستفيداً منها.

لا شيء. هو انتصار وهمي آخر يضاف إلى سجل كل من فقد زعيماً وعجز على مر السنوات عن إنتاج قيادة بديلة.

لا شيء يثير في خروج سمير جعجع من السجن. هو مجرد يوم آخر من يوميات الحرية.

سحر مندور